بقالنا اليد لفلان اى الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا انها بمعنيين فيقول اليد فى حق الله تعالى يعني
الحفظ وفى حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق ايديهم بالحفظ وقال الزمخشري لما قال
انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم التى تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير عقد الميثاق
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله هذا
مذهب اهل التاويل وكلامهم فى هذه الاية ومذهب السلف السكوت عن امثالها وامرار آيات الله كما جاءت وتفسيرها
قراءتها والايمان بها من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل وقوله تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه يعني من
نقض العهد الذي عقده مع النبي صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فانما وبال ذلك وضرره يرجع اليه ولا يضر الا نفسه
ومن اوفى بما عاهد عليه الله اى من البيعة فسيؤتيه اجرا عظيما يعني فى الآخرة وهو الجنة قوله تعالى سيقول لك المخلفون من
الاعراب قال ابن عباس ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع والنخع واسلم وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي
ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب ويصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة وساق الهدي ليعلم الناس انه لا يريد
حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الاعراب
يعني الذين خلفهم الله عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف عنك شغلتنا اموالنا
واهلونا يعني النساء والذراري يعني لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذلك تخلفنا عنك فاستغفر لنا مع عذرنا معترفون
بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم يعني انهم فى طلب
الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم ام لا قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا يعني سوء
او اراد بكم نفعا وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع بالسلامة لهم فى انفسهم واموالهم
فاخبرهم انه ان اراد شيئا من ذلك لم يقدر احد على دفعه بل كان الله بما تعملون خبيرا يعني من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار
واخفائكم النفاق بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا يعني ظننتم ان العدو يستأصلهم فلا يرجعون الى
اهليهم وزين ذلك فى قلوبكم يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان
قد يوسوس فى طلب الانسان الشيء ويزينه له حتى يقطع به وظننتم ظن السوء يعني وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا
ان محمدا واصحابه اكلة رأس يريدون بذلك قلتهم فلا يرجعون فاين تذهبون معهم انظروا الى ما يكون من امرهم وكنتم قوما بورا
يعني وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بائرين هالكين ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضي بصاحبه الى الكفر حرضهم
على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر وانا اعتدنا
للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين المبايعين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء اخبر انه له ملك السموات والارض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء
بمشيئته ويعذب من يشاء ولكن غفرانه ورحمته اعم واشمل واتم واكمل واليه الاشارة بقوله وكان الله غفورا رحيما قوله عز وجل
سيقول المخلفون يعني الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم يعني اذا سرتم وذهبتم ايها المؤمنون الى مغانم لتأخذوها
يعني غنائم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيئا وعدهم الله عز وجل
فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم اهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا ذرونا
نتبعكم يعني الى خيبر لنشهد معكم قتال اهلها وفى هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا اموالنا

واهلونا

واهلونا اذ لم يكن هناك طمع فى غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع فى الغنيمة يريدون ان يبدلوا كلام الله
يعني يريدون ان يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر خاصة وهذا قول جمهور
المفسرين وقال مقاتل يعني امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم حيث امره ان لا يسير معه منهم احد الى خيبر
وقال ابن زيد هو قول الله تعالى فان استأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا والقول الاول اصوب قل اي
قل لهم يا محمد لن تتبعونا يعني الى خيبر كذلكم قال الله من قبل يعني من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد
الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب فسيقولون بل تحسدوننا يعني يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنائم شيئا بل كانوا
لا يفقهون الا قليلا يعني لا يعلمون ولا يفهمون عن الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من تاب
منهم وصدق الله ورسوله قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب لما قال النبي صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان
المخلفون جمعا كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من يرجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق
واستمروا عليه فجعل الله لقبول توبتهم علامة وهي انهم يدعون الى قوم اولي باس شديد فان اطاعوا كانوا من
المؤمنين ويؤتيهم الله اجرا حسنا وهو الجنة وان تولوا واعرضوا كما فعلوا اولا كانوا من المنافقين ويعذبهم عذابا اليما
واختلفوا فى المشار اليهم بقوله ستدعون الى قوم اولي باس شديد قال ابن عباس هم اهل فارس وقال كعب هم
اهل الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان
يوم حنين وقال الزهري وجماعة هم بنو حنيفة اهل اليمامة واصحاب مسيلمة الكذاب قال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه
الاية ولا نعلم من هم حتى دعى ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن خديج دعاهم عمر الى قتال فارس وقال ابو
هريرة لم يأت تأويل هذه الاية بعد واقوى هذه الاقاويل قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابعده قول من قال انهم بنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب اما الدليل على صحة القول الاول
هو ان العرب قد كان ظهر امرهم فى آخر الامر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا مؤمن تقي طاهر او كافر مجاهر واما
المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى حرب من خالفه من الكفار وكانت هوازن وثقيف من اشد العرب باسا وكذلك غطفان فاستنفر
النبي صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعي هو النبي صلى الله عليه وسلم
فان قيل هذا ممتنع لوجهين احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معي ابدا فكيف
كانوا يتبعونه مع هذا النهي الوجه الثاني قوله اولي باس شديد لان الرعب كان قد دخل فى قلوب العرب كافة
فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما ان يكون قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا مقيدا بقيد وهو
ان يكون تقديره لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا التقييد لا بد منه
لان من اسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم الوجه
الثاني والجواب عن الوجه الاول ان المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا يعني فى غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة
بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يكن يدعهم الى الجهاد معه
او منعهم من الخروج الى الجهاد معه لامتنع ابو بكر وعمر من الاذن لهم فى الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعا من اخذ الزكاة من
ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من اخذها واما الجواب عن الوجه الثاني وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق
له حرب مع قوم اولي باس شديد فغير مسلم لان الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم اولو باس شديد
فثبت بهذا البيان ان الداعي للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم واما قول من قال ان ابا بكر دعاهم الى قتال بني
حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب وان عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر فى الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)